الهايدجرية في الفلسفة الفرنسية: بين الفلسفة والسياسة

سبية سوهيلة*

«*Martin Heidegger est mort ce matin. Le soleil qui l'a couché, lui a laissé ses outils et n'a retenu que l'ouvrage. Ce seuil est constant. La nuit qui s'est ouverte aime de préférence*[2]»

سجَّلت الفلسفةُ الألمانيةُ حضورًا قوياً في الوسط الفكري، إذ عُدَّ فكرُ هايدجر في هذا المقام ضمن التقليد الألماني الأهم على الإطلاق، وذلك، حسب المكانة الهامة التي تقلدها هذا الفيلسوف من خلال دوره في الفلسفة الأكاديمية للقرن 20، وتأثيره في الوعي العام، لعصرنا[3]، إذ أصبح المفكر، الأشهر في زمانه بعد النجاح الذي حصدته أعماله بفعل أصالتها الفلسفية. ومن هنا، فإن الحديث عن موقع هايدجر في مشروع الفلسفة الغربية أمر يطرح جملة من الاستفهامات في العديد من المناسبات الفكرية، فمغامرة هايدجر في الفلسفة عبر شقه لفكر الدروب، جعلت منه وجهة للقراءة والبحث والنقد، الأمر الذي يعكس الاستثمار الفعلي لهذه الظاهرة الفلسفية المثيرة للجدل في مختلف أطروحاتها الفلسفية ونشاطاتها السياسية، ولعلّ الحوار الفرنسي الألماني يُظهرُ الحضور الهايدجري في الساحة الفرنسية، ففرنسا قد استقبلت الفكر الهايدجري بصور مختلفة بين دروب الترجمة، والنشر، والكتابة الفلسفية، وحتى النشاط السياسي، حيث ظل هايدجر يصنع الحدث الأبرز في الخطاب الفلسفي.

الإله والثيولوجيا في الفلسفة الهايدجرية (الأنطولوجيا السياسة):

إن التطرق إلى وضع المسألة الدينية في المشروع الهايدجري، هو في الحقيقة برنامج مفتوح عل كل القراءات والتأويلات، فمن بين تبعات هذا الأمر، هو محاولة اختزال مجمل التجربة الفكرية الهايدجرية في هامش العرق والايدولوجيا، عوض تسليط الضوء عن المشروع الأنطولوجي، لتجربة الكينونة، وإمكاناتها الفلسفية في راهن الفلسفة المعاصرة.

وعليه، فإنّ التجربة الهايدجرية في توظيفها اللاهوت المسيحي، من الدواعي التي صرفت هايدجر

* - طالبة دكتوراه – جامعة وهران2.

Abstract: The ictsd Alhaadgera of philosophical projects that have achieved great influence attention where he result philosophical phenomenon and point to research and criticism in the French league that have received this thinker in the different images of the translator to write and cash in his activities philosophical and especially political, because of intellectual-crowned who succeeded him in the betting philosophy.

Key words: Altewologgio, ontology, politics, the sacred experience, ictsd Alhaadgera, French translation.

2 BEAUFRET, Jean, Dialogue avec Heidegger: Le chemin de Heidegger, Paris, Les éditions de minuit, 1985, p 128

3 غادامير هانز جورج، طرق هيدجر، تر: حسن ناظم وحاكم صالح، دار الكتاب الجديد المتحدة، دط، 2007، ص 319.

نفسه إلى النظر في حال الفلسفة ووضعيتها عبر محاولاته لتجديدها، حيث سُئل هايدجر في إحدى حواراته عن الدور الذي يمكن للفلسفة أن تلعبه في عالمنا المعاصر، فأجاب: لن ينقدنا سوى الله. «إن فقدان البعد المبجل والمقدس هو ربما الإثم الذي اقترفه عصرنا[1]».

إنّ التعامل الهايدجري مع المقدس، يرتبط أساسًا بأنطولوجية الكينونة وتاريخها، هنا يظهر التأطير الفلسفي لمعالجة هايدجر المعنى الحقيقي لتجربة الدين (الإيمان) أو الآلهة التي انسحبت من العالم نتيجة اختزال المقدس في الشعائر والطقوس، وقد أشار هايدجر إلى هذا السياق الديني في كتابه دروب الغابة في مشهد الإنسان المجنون الباحث عن الإله[2].

إذن، التنشئة الدينية كانت حافزاً لإظهار السجال النقدي الذي خاضه هايدجر مع اللاهوت، فبهذا الأساس لعبت التربية اللاهوتية دوراً في تأسيس الشخصية الفلسفية لهيدجر، والتوجه الهايدجري للاهوت، كان توجهًا نقديًا، فتجسدت مهمة هايدجر هنا، في تجديد معنى اللاهوت وتحريره، فالبعد الديني في مشروع هايدجر لم يكن بمساعدة اللاهوت من خلال ما تلقاه في ماربورغ أثناء الدراسة، وإنما في الحقيقة من خلال الانصراف عنه، وعن الميتافيزيقا، والأنطولوجيا السابقة[3]، ويتضح الأمر عند العودة إلى المناقشات التي قدمها هايدجر في محاضرة «علم اللاهوت» لادوارد ثورنين»، ولعل هذا المقصد من الرسالة التي بعث بها هايدجر إلى صديقه «لويث» أنا لاهوتي مسيحي، فكان هذا القول الموجه العظيم لطريق هايدجر الفكري بتحرير نفسه من اللاهوت السائد من جهة، ومن جهة ثانية، تجديد مهمة اللاهوت بإيجاد الكلمة التي تدعو المرء إلى الإيمان أن القراءة النقدية الهايدجرية بدأت من فجوة اللاهوت المسيحي، وعادت إلى تفكير البدء الأول، ونخص هنا، بالذكر التجربة الميتافيزيقية التي اقتحمت نفسها حسب تقدير هايدجر في مسألة أجنبية عنها، الكينونة، وهي قضية أنطولوجية فلسفية بامتياز، في حين أن الاعتقاد يمنع ويكبح الإمكان في التساؤل على عكس الفيلسوف الذي يفتح باب التفكير ويشق دروب التساؤل، فالمقصد الهايدجري من هذه المساءلة هو الإنصات لتجربة الكينونة، ذلك أن الميتافيزيقا في مطابقتها بين الإله والوجود حطّت من قيمة الألوهية، لذلك جاءت المناقشة الهايدجرية لتكشف بدورها عن البنية الأنطوتيولوجية للميتافيزيقا، وقد سحب هايدجر هذا المصطلح على مجمل التراث الغربي في مواجهة جريئة لمجمل الأعمال الفلسفية، وعليه يمكن القول في هذا السياق، أن التجربة الدينية خدمت مشروع هايدجر الفلسفي لأن تفكيره في المقدس كان يحمل إمكاناً فلسفياً في تجديد الفلسفة، فالألهة متوارية والكينونة منسية.

« *Nous venons trop tard pour les dieux et trop tôt pour l'Etre. L'homme est un poème que l'Etre a commencé*[4]»

وبالتالي، الفلسفة تعيش عصر انسحاب الكينونة والآلهة، ولا خيار سوى الانتظار، ولعلّ الشعراء هم الأجدر بهذه المهمة، فهُم الذين يملكون القدرة على الشعور بآثار الآلهة الراحلة، وهي بالفعل الترجمة الفلسفية لمستقبل الفلسفة والفكر.

1 غادامير هانز جورج، المرجع السابق، ص366.

2 غادامير هانز جورج، المرجع نفسه، 347.

3 المرجع نفسه، ص364.

4 -Heidegger Martin l'Expérience de la pensée, question 3, trad. par: André Préau, Gallimard 1966 p 21

هايدجر في فرنسا

«*Le danger qui a le plus de malignité et de mordant est la pensée elle-même. Il faut qu'elle pense contre elle-même, ce qu'elle ne peut que rarement*[1]«

لقد استطاع الفكر الهايدجري الألماني أن يرسم أفق التواصل مع الفلسفات، ومن هذا الباب، فإن الحديث عن الحضور الهايدجري في الفلسفة الفرنسية أخذ عدة توجهات، أولها الصورة الملتبسة لهايدجر ضمن العلاقة التي تربط هذه الشخصية مع الفلاسفة الفرنسيين، فمعروف أن الدواعي التي جعلت هايدجر يبحث عن فضاء أخر لفكره خارج ألمانيا، يعود بالدرجة الأولى إلى الوسمة الايدولوجية أو الحصار السياسي الذي فُرض على فكره، نتيجة اللعنة النازية التي بقيت تلاحق فكره، واستنادا على هذا، فإن التلقي الفرنسي لهايدجر كظاهرة فلسفية غامضة لم يلقَ ترحيبًا مباشراً، وإنما على عكس ذلك تماماً، حيث ظهر شق من المثقفين الذين تحاملوا غلى الفلسفة الهايدجرية فجردوها من منابعها الأنطولوجية، واعتبروها فلسفة ذات صبغة نازية، ونذكر هنا، «فيكتور فارياس»، وكتابه «هايدجر والنازية»، الذي يتناول الجدال الهايدجري السياسي لجملة المواقف والنشاطات الجامعية.

«*Le 27 mai 1933 eut lieu la fête de l'universitéau cours de laquelle Martin Heidegger prononça son discours rectoral, bien connu sous le titre de « L'auto-affirmation de l'Université allemande*».[2].»

ويعتبر هذا اليوم التارخي، الذي تعين بموجبه هايدجر رئيسا للجامعة محاولاً جعل هذه المبادرة الأكثر أهمية في إعادة هيكلة الجامعة الألمانية.

«*Tous les commentateurs voient dans la contribution de Heidegger l'un des projets lesplus importants de rénovation de l'Université allemande*[3] »

وعليه، فإن الحكم على خطبة هايدجر عجلت بالانقلاب ضد هذا الفكر، حيث كانت القومية الايدولوجية سبباً لجعل الكثير من النقاد ينساقون إلى التأويل الايدولوجي في فكر هايدجر، وفقاً لهذا «لا يمكن أن نحكم على خطبة هايدجر من وجهة نظر واحدة سواء كانت سياسية محضة أو فلسفية محضة[4]».

إذن، كل قراءة سياسية لأعمال هايدجر تحكم على نفسها بالسطحية، إذ لم تأخذ بعين الاعتبار أن الايدولوجيا كفكر فلسفي، قائم في كل عمل فلسفي يقدمه أي فيلسوف كان، فهايدجر كان يهدف من فحوى هذه الخطبة التاريخية تجديد المناخ الفكري للجامعة الألمانية، لكن سرعان ما فتح هذا الخطاب باب الهجوم، غير أن التحفظ على هذه التجربة الفكرية جعلته من الأسماء الأولى الدائمة في الحضور على طاولة

1 Ibid. p 29

2 Farias Victor, Heidegger et le nazisme, trad. de l'espagnol et de l'allemand par Myriam benarroch et jean baptiste, édition verdier France 1987 p 109

3 Ibid p 118

4 بورديو بيير، الانطولوجيا السياسية عند مارتن هايدجر، تر: سعيد العليمي، المشروع القومي للترجمة المجلس الاعلى للثقافة القاهرة، ط1 2005، ص 05.

النقاش الفلسفي، وننوه هنا، إلى الأوفياء للفلسفة الهايدجرية بنقاءها المعرفي والانطولوجي الغير المتحيز للمرجعيات الايدولوجية، فنجد «جون بوفريه» المفكر، الذي أعطى صورة أكاديمية في طرحة وترجمته لأعمال هايدجر الفلسفية، وأيضا قراءاته لأهم القضايا الهيدجرية ضمن الفلسفة الفرنسية في الكثير من المناسبات، ويمكن إدراج أيضا، «فرنسوا دستور» في هذا السياق.

«*Je n'ai pas jusqu'à ce jour explicitement réfléchir ni publie les textes sur la question du rapport de la pensée de Heidegger et de son engagement politique dans le national socialisme, j'ai en effet toujours préféré plutôt que de m'affronter directement à cette question proposer une lecture de Heidegger à partir de laquelle c'est du moins rassembler de repousser*[1]»

إن الإمكانات التي تركها هايدجر كمشروع يهيئ الفكر نحوَ مواصلة درب المستقبل، قد تم استثمارها بالفعل في قلب الفلسفة الفرنسية، فبفضل هايدجر تمت قراءة نيتشه كفيلسوف، وأيضا طريقة تعامله مع الثراث الغربي، ومخلفاته للعتبة الفكرية التي انطلقت منها قضايا الراهن الفسلفي خاصة الفرنسية، فإن مجمل الفلسفات من بنيوية وتفكيكية وتأويلية كلها تخريجات متنوعة للمنعرج الهايدجري[2] ، كما نجد اعترافات مباشرة، وأخرى ضمنية لفلاسفة أمثال، «دريدا» «دلوز»، «فوكو» على القدرة الهايدجرية في طرح إمكانات المحركة لبداية جديدة في الفلسفة، فتنبه هايدجر إلى وضعية الفلسفة جعله يطرح مشروع التجديد، بإيجاد مواد بديلة تضمن سيرا آخر لها، ويمكن تبرير هده الدعوة الهايدجرية نحو التجديد نتيجة جملة المحاكمات التي أجريت على الفلسفة في زمن المعاصرة (نهاية الفلسفة موت الفلسفة.....)، وقد انعكس هذا الضوء بوضوح بين التفكيكية الديريدية، والتفويضية الهايدجرية في حوار فرنس ألماني نحو رؤية جديدة ومختلفة للفلسفة: «إن ديني لهيدغر هو من الكبر، بحيث أنه سيصعب أن أقوم هنا بجرده والتحدث عنه بمفردات تقييمية أو كمية، أوجز المسألة بالقول إنه هو من قرع نواقيس نهاية الميتافيزيقا وعلمنا أن نسلك معها سلوكا استراتيجيا يقوم على التموقع داخل الظاهرة[3]» ، وقد اعتبر، أحد المفاتيح السرية في فهم الخريطة الفلسفية للفكر الراهن.

إذن، إنّ المشروع الهايدجري وفق ما أراده من اقتراحاته الفلسفية كمحاولة تجديدية جعله يصرح أنه لم يعد يتحكم في التأثير الذي يحدثه فكره، «أنا لا أعرف شيئا عن التأثير الذي يمكن أن يُحدثه هذا الفكر ويمكن أيضا أن يقود الفكر اليوم صاحبه إلى الصمت لمنع الفكر من أن يتلاشى ويتبخّر في ظرف عام ويمكن في حالة أخرى أنه لابد من مرور ثلاثمائة سنة حتى يكون له تأثير[4]».

قائمة المراجع باللغة العربية:

1. غادامير، هانز جورج، طرق هيدجر، تر: حسن ناظم وحاكم صالح، دار الكتاب الجديد المتحدة، د.ط، 2007.

1 mato Massim et d'autres , Heidegger à plus forte raison librairie les edition fayard France 2007 p 441

2 مهنانة اسماعيل، الوجود والحداثة في مناظرة العقل الحديث، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف الجزائر، ط 1، ص 187.

3 دريدا جاك، الكتابة والاختلاف، تر: كاظم جهاد، دار توبقال للنشر، المغرب، ط2، 2000، ص47.

4 نقلا عن: إسماعيل، مهنانة، الوجود والحداثة، المرجع السابق، ص ص 188، 189

2. بورديو، بيير، الأنطولوجيا السياسية عند مارتن هايدجر، تر: سعيد العليمي، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005.
3. مهنانة اسماعيل، الوجود والحداثة في مناظرة العقل الحديث، الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف الجزائر، ط1 .
4. دريدا جاك، الكتابة والاختلاف، تر: كاظم جهاد، دار توبقال للنشر، المغرب، ط2، 2000.

قائمة المصادر باللغة الفرنسية:

- Heidegger, Martin, l'expérience de la pensée, Question III, Trad: par André préau, Gallimard, 1966.

قائمة المراجع باللغة الفرنسية:

1. Beufret, Jean, Dialogue avec Heidegger le chemin de Heidegger, Les éditions de minuit, Paris, 1985.
2. Farias, Victor, Heidegger et le nazisme, Traduit de l'espagnol et de l'Allemand par Myriam Benarroch et Jean Baptiste, Editions Verdier, France, 1987.
3. Mato Massimo et d'autres, Heidegger à plus forte raison, Librairie, Les éditions Fayard, France, 2007.